هوامش

تتميّز جزيرة جربة التونسية بزيها التقليدي «البسكري»، الذي ما زالت ترتديه بعض النساء، وخصوصاً في المناسبات، على الرغم من غلبة الملابس العصرية

ترتديان البسكري (العربي الجديد)

«البسكري»

زيّ التونسية في جزيرة جربة

تونس ـ **مريم الناصري**

لحافٌ أبيض مزركش بخطوط ملونة يلفّ كامل جسد المرأة، مع مظلّة من سعف النخيل. إنّه زيّ «البسكري» أو «الملحفة»، ولا تجده سوى في جزيرة جربة في جنوب تونس. يُشبه بعض الأزياء التونسية الأخرى، لكنّه مختلف لناحية الحياكة والشكل واللون وطريقة اللباس. ويختزل هذا الزي هوية منطقة بأكملها، خصوصاً أنها تنفرد به دون سواها. في ذلك المكان، لم تكن النساء يرتدين غير البسكري. أما اليوم، فبات غالباً محصوراً بكبار السن. تستخدم مواد ووسائل مختلفة لحياكة البسكري. قد يُحاك من الحرير المرصّع بالفضة، وهو لباس خاص بأصحاب النفوذ والطبقة الغنية. وقد يُحاك من بعض الأقمشة العادية كـ الحايك»، ويكون أبيض اللون بالأساس وفيه بعض الخطوط الحمراء فقط، وترتديه غالبية النساء. وبات هذا الزي بمثابة هوية خاصة بالنساء اللواتي يرتدينه أكثر في المناسبات، ويتميّز بزينته وألوانه، وذلك بحسب نوع الحفل أو المناسبة.

يُصنع البسكري بواسطة «النول»، ويطلق على صانع ذلك اللباس إسم «الحوكي» نسبة إلى الحياكة. وتتطلب صناعة الواحد منه نحو أسبوعين، لإنتاج قطعة بطول أربعة أمتار تكون كافية للف كامل جسد المرأة. ويباع العادي منه بـ25 دولاراً. أما ذلك المصنوع من الحرير والمزين بخيوط من فضة، فيباع بما بين 400 و600 دولار. في هذا السياق، يقول صالح الطرابلسي، أحد «الحوكيين» في جربة، والذي يصنع البسكري منذ أكثر من 20 سنة، إنه «أُدخلت بعض التغييرات على مستوى الزينة لتتماشى مع العصر اليوم، من دون أن يفقد الزي هويته وخصوصيته. وغالباً ما تستخدم العديد من الألوان في صناعة البسكري، وترتديه النساء في الأعراس وغيرها من المناسبات».

ترتدي المرأة البسكري فوق لباسها العادي، وتلف به كامل جسدها ليغطي حتى رأسها. كذلك، تضع قبعة على رأسها مصنوعة من سعف النخيل خلال الصيف أو الشتاء. عن هذا اللباس، تقول فاطمة (50 عاماً) إنّه «يهودي الأصل، وتنفرد به جزيرة جربة التي يقطنها عدد كبير من اليهود. لكنّ النساء يرتدينه منذ أكثر من 150 سنة على اختلاف دياناتهنّ في تلك المنطقة».

تضيف: «رُبما ترتديه بعض النساء اليوم للحفاظ على هوية المنطقة. لكنّ سابقاً، كان يفرض على المرأة ألا تخرج من البيت من دون أن تلتحف به لتغطي كامل جسدها. وعلى الرغم من كونه يُلبس اليوم غالباً من قبل كبار السنّ، إلاّ أنّ العروس تلبسه طيلة أيام زفافها، ويكون ملوناً ومصنوعاً من خيوط الحرير بالأساس. كذلك، ترتديه الفتيات للزينة في الحفلات وبعض المناسبات. بالتالي، يعد اليوم حاضراً في العديد من المناطق في مدينة جربة». وتقع جربة في الجنوب الشرقي لتونس وتتبع محافظة مدنين. وتعد من أكبر جزر أفريقيا وتلقب بجزيرة الأحلام، وهي من أشهر المناطق السياحية في تونس، خصوصاً خلال الحج اليهودي إلى كنيس الغريبة. ويعدّ هذا الكنيس أقدم معبد يهودي في العالم ويزوره آلاف اليهود سنوياً. ويعود تشييده إلى العهد الروماني. وتوجد فيه أقدم نسخة للتوراة في العالم.

يقول عبد الرحمن (62 عاماً)، وهو أحد تجار الملابس في المدينة العتيقة في الجزيرة، إنّ «تجارة البسكري تزدهر خلال موسم السياحة، وخصوصاً حج الغريبة». يضيف أن العديد من التونسيات وغيرهنّ يقبلن على هذا اللباس الخاص في منطقة جربة، موضحاً أن «غالبية اللواتي يرتدين البسكري اليوم كبيرات في السنّ. وترتدي النساء الحريري منه في الأعراس والمناسبات فقط. وظلت الحرفة مقتصرة أيضاً على كبار السن بسبب عدم إقبال الشباب على تعلمها على غرار بقية الحرف التقليدية».

يضيف عبد الرحمن أنّ «غالبية الروايات تشير إلى أنّ أصول الزي يهودية بالأساس، لا سيما أنّه أبيض. وكانت جلّ النساء لا تخرج من بيوتها من دون ارتدائه. لكنّ مع انتشار الملابس العصرية، تراجع الإقبال على لباس البسكري، وظل محصوراً بكبار السنّ. وعمل بعض صانعيه على تطوير شكله وتطريزه للتشجيع على ارتدائه في حفلات الأعراس. لكن في السوق ما هو باهظ جداً، ويُصنع من الحرير وخيوط الفضة، وقد يفوق سعره 500 دولار. ولا يُقبل على شراء البسكري مرتفع السعر سوى المقبلات على الزواج أو السياح».

من جهتها، تقول سنية، وهي إحدى سكان الجزيرة، إنّ «البسكري، وعلى الرغم من تراجع ارتدائه في المنطقة بالمقارنة مع السابق، إلاّ أنّ أي امرأة في الجزيرة تملك منه قطعة أو قطعتين لارتدائه في المناسبات. وما زالت العروس تتجمل به طيلة أيام أسبوع زواجها ولا تخرج من بيتها من دونه». تضيف أنّه «متوفر فقط في جزيرة جربة، على الرغم من أنّه يشبه العديد من الأزياء التونسية الأخرى، على غرار السفساري الذي يلف أيضاً كامل جسد المرأة، إلاّ أنّ البسكري خاص بنساء جربة لكونه ظهر في هذه المنطقة».

باختصار

ترتدي المرأة البسكري فوق لباسها العادي، وتلف به كامل جسدها ليغطي حتى رأسها. كذلك، تضع قبعة على رأسها مصنوعة من سعف النخيل خلال الصيف أو الشتاء

■■■

غالبية الروايات تشير إلى أنّ أصول الزي يهودية بالأساس، لا سيما أنّه أبيض. وكانت جلّ النساء لا تخرج من بيوتها من دون ارتدائه. لكنّ مع انتشار الملابس العصرية، تراجع الإقبال على لباس البسكري، وظل محصوراً بكبار السنّ

وأخيراً

حيّ الشيخ جراح وأمثولة آيخمان

نجوى بركات

- يعقوب، أنت تعرف أنّ هذا ليس بيتك.
- أجل، ولكنّك تعلمين أنّكِ، وإن خرجتُ، فلن تعودي إليه، فما هي مشكلتك، أنا لم أفعل هذا، أنت تصرخين عليّ، وأنا لم أفعل ذلك.
- ولكنّك تسرق بيتي!
- إنْ لم أسرقه أنا، سيسرقه شخصٌ آخر.
- ليس مسموحاً لأحد أن يسرقه.
- هو ليس لي كي أعيده...
- يعقوب، أتسمع ما أنت قائل؟ ليتك تعيد الاستماع إلى حوارنا، وسترى كم أنّه شاذّ ومُقهر. تدخل إلى منزلٍ ليس لك، وأنت مدركٌ ذلك تماماً. تأهله وأنت تعرف أنّ له أهلاً. وإذ يطالبك أهلُه ألّا تفعل، تبرّر أنّك، في هذا الفعل، إنّما تسبق إليه آخرَ. أتّهمك بسرقة بيتي، يا يعقوب، فلا تعترض على فعل السرقة، بل تجيبني قائلاً إنّك لست السارق، وإنّك، حتى لو أردتَ إرجاعَه إليّ، فلا يمكنك أن تفعل لأنّه ليس ملكك. أحسنتَ، يا يعقوب، هو بالفعل ليس لك لأنّه ملكي، لكنّك تنتفض معترضاً: لا، لم يعد لكِ، لقد سبق أن سُرق منك، وقد أُعطي لنا. أنا أو سواي، ما الفرق عندك؟ أجل، يا يعقوب، أنت تسرق بيتي كما سرق أبناء شعبك بيوتَ فلسطين كلّها..
- فلسطين، في معظمها، بيعت لنا، أنتم تخلّيتم عنها.
- لا يا يعقوب، ركّز معي. لا أحد يبيع وطناً مهما باع من أرضه. الوطنُ ليس ملكية فردية كما تعرف، وهو ليس فقط مجموعة مساحاتٍ وممتلكات. ولأسلّم معك فرضاً أنّنا بعنا كلَّ ما نملك في فلسطين، فهل يصحّ أنكم اشتريتم بلداً بأمّه وأبيه؟ هذا مستحيل، يا يعقوب، أنت تعرف، وأراك مقتنعاً بما أقول لأنّك تُخفض رأسك. لا تُجبني بأنّ ما جرى قد جرى، ومن غير الممكن العودة إلى الوراء، لأنّ ما فعلتموه، يا يعقوب، هو سرقة استدعت احتلالاً بالقوة، ولأنّكم، رغم كلّ ما سلبتم، ما زلتم تلاحقوننا على قلّة ما تبقّى. حتى متى، يا يعقوب، حتى متى؟
- اسمعي، قضية الحيّ المقدسي الشرقي، الشيخ جرّاح، ستبتُّ بها المحاكمُ القانونية.
- محاكمُكم! اسمعني أنتَ، يا يعقوب، أنت تعرف أنّ دولتك، بمستوطنيها وجنودها وشرطتها وحرسها، لم تتوقّف يوماً عن عمليات الهدم والإخلاء، وعن قمعنا واضطهادنا وأسرنا وقتلنا. دولتك، يا يعقوب، تريد ببساطة محوَنا كي تنسى جريمتها، فتقول إنّ التاريخ بدأ معها، وإنّنا نحن الدخلاء على أرضنا. إسرائيل تريد ابتلاع فلسطين كلّها، لكنّها لا تدري كيف تتخلّص من الحسك العالق في حلقها.

نحن هو هذا الحسك يا يعقوب، نحن البشر الذين لا ننسى، ونبقى نحمل اسمَ الأرض التي عليها وُلدنا ونلغو بلغتها. حتى اسمنا بات سكّيناً وشوكة. أنتم تسمّوننا عرباً، ولا تبوحون حتى لأنفسكم وسرّاً بأنّنا فلسطينيون، وبأنّنا أهل هذي البلاد وملحها.

> لا تكن مثل آيخمان، يا يعقوب. قل هذا لشعبك، لا تكونوا مثله، معصوبي القلوب أصمّاء الضّمير

- نحن نسرق بيوتكم، حسناً، لكنّ حياتنا سُرقت منا! لا تنسي كم اضُّطهدنا وأُبِدنا!
- أنا لم أنسَ، يا يعقوب، لكن يبدو أنّكم أنتم من نسيتم. أهي عاقبة الضحيّة دوماً أن تكون جلّادَ ضحيّة أخرى؟ والحق يقال، يا يعقوب، إنّي أودّ شكرك شخصياً والشدّ على يدك، لأنّك من بين قلّةٍ قليلةٍ جدا تعترف بالسرقة، وإنْ تناست عواقبها من تهجير وتمييز واضطهاد وقتل. أوَ تدري، أنا لا أريد منك سوى أن تعتذر عما ارتكبتَ بحقّي، فلا تكرّر على مسمعي أنّك لم تفعل شيئاً، وأنّه ليس ذنبك. تذكّر، يا صديقي، النازيَّ أدولف آيخمان وما كتبته الفيلسوفة حنة آرندت بعد حضور محاكمته، عن تفاهة الشرّ، وقد رأت أنّه شخص عادي لا يشكل أيّ استثناء. لا هو كان معادياً للسامية، أو يتبنّى أيديولوجيّة الحزب النازيّ الذي انضمّ إليه طمعاً بتحسين معيشته. وحتى كلامه جاء إدارياً رسميّاً ولغته نمطيّة سطحيّة، كأيّ موظف بيروقراطيّ ينفّذ أوامر رؤسائه دونما تفكير أو تساؤل أو تحليل.

لا تكن مثل آيخمان، يا يعقوب. قل هذا لشعبك، لا تكونوا مثله، معصوبي القلوب أصمّاء الضّمير.

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**